

ضبط الرسم العثماني وعلاقته بالتعليل اللغوي

- الهمز في كتاب أصول الضبط لأبي داود سليمان بن نجاح نموذجاً -

Diacriticising Othman Script in Relation to Linguistic Explanation**Al-Hamz in "The Basics of Diacritics"****by Abu Dawood Suleiman Ibn Najah (as a Model)**كمال راعي^{1*}، أ. د حورية عبيد²¹ جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية، مخبر الشريعة، k.rai@univ-alger.dz² جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية، h.abib@univ-alger.dz

تاريخ الارسال: 2023/12/19 تاريخ القبول: 2024/12/03 تاريخ النشر: 2024/12/31

الملخص:

يهدف من خلال هذا المقال إلى بيان العلاقة بين ضبط الرسم العثماني والتعليل اللغوي، فقد كان لتأصيلات النحويين وقواعدهم صلة وطيدة بالنقط والشكل الذي حصل في رسم المصحف المنسوخة عن المصحف الإمام، وإن كثيراً من مسائل النقط - خاصة في باب الهمز - توقف ضبطها على ما أقره النحويون في ذلك، إذ نجدهم استعاروا حرف العين للكشف عن صور الهمز الخفية، كما أنهم حدّدوا الأسبقية في الهمز المزدوج الذي رسم بألف واحدة، واللام ألف وإشكالية طرفيها، أضف إلى ما كان لقواعد الصرف من مساهمة في بيان الثابت من المحذوف، كما أن اختلاف الضبط في الكلمة الواحدة - في بعض الأحيان - يرجع إلى اختلاف تعليلات اللغويين لظواهر الرسم، مع أننا اتبعنا في بحثنا المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث إننا تتبعنا تعليلات اللغويين للهمز مع التحليل، وبيان أثرها فيه. ومن أبرز النتائج التي توصلنا إليها: إسهام التعليل اللغوي في تيسير الضبط للرسم العثماني.

الكلمات المفتاحية: الضبط، رسم المصحف، التعليل اللغوي، الهمز.

Abstract

This study aims at identifying the connection between diacriticising the Othman script and linguistic explanation. The grammarians and their rules used to have strong relationship with diacritical pointing and marking already set to write the holy books copied from Imam's ones. Many of the diacritics issues, as far as El Hamza is concerned, have been edited according to what the grammarians had stated They borrowed the letter (ع)- Eyn to unveil the forms of hidden Hamza, they also determined priority in the double Hamza which is written in one (Alif)letter and in El Lam Alif (لا) letter. Additionally, morphology contributed to differentiate the fixed Hamza from the deleted one. The variation in diacritics in a single word is sometimes due to the ' explanations of scriptphenomena . In this study, an inductive analytical approach is adopted ; the grammarians' explanations of El Hamza were examined and analysed and their effects on El hamza are highlighted .The study revealed that the linguistic explanations contributed to facilitate diacritical pointing and marking of the Othman writing .

Keywords : Diacriticisation – holy book script – Linguistic explanation – El Hamza

1. مقدمة:

كان رسم المصحف ولا يزال قبلة الباحثين في أسراره، المتأملين في عجائب ظواهره، حيث إن تنوع الخط في بعض ألفاظه جعل العلماء يعكفون على تحليل هذا الذي تميز منه، خاصة بعد ظهور الرسم القياسي ومخالفته له، وقد اختلفت مواقفهم، وتعددت اتجاهاتهم في توجيهه، فممنهم من سار على درب اللغة، وممنهم من سار على قارعة المعنى، وممنهم من رجع إلى ما قبل هذا الرسم متتبعا آثاره التاريخية .

وقد أثرى كل اتجاه من أنواع التحليل، وأسهم ولو بجزء في بيان هذه الظواهر، إلا أنني لما تتبعته هذه الطرق وجدت التحليل الوحيد الذي انفرد عن غيره، وكان له علاقة بضبط الرسم هو التحليل اللغوي، حيث إن الشكل، والنقط الذي ضبط به رسم المصحف كان مبنيا على ما أقره النحويون من التأصيل اللغوي .

وإن من الكتب التي تطرقت لضبط المصاحف كتاب "أصول الضبط" للإمام "أبي داود"، وكان عمدته في النقط على قواعد اللغويين، وتعليلاتهم، ووردت فيه أمثلة كثيرة يصعب حصرها، وبغية الاختصار اخترنا ضبط الهمز نموذجا .

وإذا كان الأمر كما ذكرت، فإني ارتأيت أن يكون بحثي هو إجابة عن الإشكالية الآتية : ما علاقة ضبط الرسم العثماني بالتعليل اللغوي ؟ ويتفرع عنه عدة أسئلة :

ما مدى تعلق ضبط الرسم العثماني بالتعليل اللغوي ؟

فيم تتجلى هذه العلاقة ؟

وما أهميتها ؟

أهمية الدراسة: فيكفيها شرفا أنها تتناول ضبط الرسم الكريم لكلام الله رب العالمين .

والهدف من الدراسة: أولا: إبراز أثر التعليل اللغوي على ضبط المصحف، ثانيا: بيان تطبيقات ضبط ورسم الهمز المزدوج في كتاب أصول الضبط، وثالثا: معرفة اختيارات أبي داود في مسائل رسم وضبط الهمز.

أسباب اختيار الموضوع:

أولا: الرغبة والميول إلى كل ماله علاقة بالدراسات القرآنية.

ثانيا: التأسي بالسلف الصالح، ومواصلة الطريق في خدمة القرآن.

ثالثا: إحياء تراث الأمة: فضبط الرسم بالنقط المدور قد تركه الناس بعد القرن الخامس الهجري، وبعد فترة من الزمن تغافل عنه الناس ولا يكاد يذكر، وقل البحث في موضوعه حتى أصبح غريبا لدى كثير من طلبة العلم، لهذا كان من الجميل أن يتنافس فيه الباحثون .

الدراسات السابقة: الدراسات المتعلقة بضبط الرسم بالنقط قليلة، وذلك أن المصاحف المعاصرة تُضبط بالشكل، فربما غياب استعمال النقط جعل جلّ الباحثين يزهدون في الميول إلى موضوعاته، إلا أن بعضهم -وهم قليل- قاموا بإحياء هذا التراث منهم الدكتور أحمد شرشال الجزائري هذا الذي قام بتحقيق كتاب "أصول الضبط" وهو كتاب مهم في الضبط بالنقط، كما قام بتحقيق الطراز في شرح ضبط الخراز، وأما الدراسات العلمية الأكاديمية التي تطرقت إلى موضوع البحث فهي منعدمة على حسب ما اطلعت عليه.

منهج البحث: المنهج العام للبحث هو النظري التطبيقي، إلا أن المنهج التاريخي كان حاضرا في الترجمة.

2.التعريف بالإمام أبي داود وكتابه أصول الضبط.

2-1 تعريف الإمام أبي داود .

اسمه: سليمان بن أبي القاسم نجاح . ويكنى أبا داود .¹

وينسب بمولى الأمير المؤيد بالله هشام بن الحَكَم²، المَرْوَانِيُّ، لَأَنَّ ولاءه ولاء عتق: قد أعتق هشام أباه نجاحا .

وينسب بالمؤيدي، والأموي، والهاشمي؛ وهذه النسب ترجع إلى من أعتق والده كما سلف .³

ووصفه بالأندلسي؛ لأنه سكن دانية⁴ ثم رحل إلى بلنسية⁵ واستقر بها وكلاً منهما يقع ببلاد الأندلس.⁶

اتفقت كتب التراجم والمؤرخين على أنّ ولادة أبي داود كانت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة للهجرة، ولم يذكر أحد خلاف ذلك .⁷ فنشأ بقرطبة، ثم انتقل إلى دانية وكانت زمانها تعج بالعلم والعلماء، وسبب ذلك أنّ أبا الجيش مجاهد العامري قد أكرم أهل العلم، وأغدق عليهم بالأموال، وأفضل عليهم؛ مما شجع ذلك على استجلابهم لهذه المدينة،

¹ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، (1410هـ-1989م)، 321 .

² هو ابن عبد الرحمن الخليفة المؤيد بالله بن المستنصر بالله بن الناصر الأموي الأندلسي هو العاشر من ملوك بني أمية بالأندلس، وكان أخرقا ضيف الرأي محجورا عليه، وكان المنصور هو عمدة الرأي . ينظر : شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1 (1405هـ-1984م)، 8/ 271 .

³ ينظر ترجمته : سير أعلام النبلاء، ج 19 / 168 / 169 .

⁴ مدينة الأندلس من أعمال بلنسية، على ضفة البحر شرقا، كان بها تين وزيتون ولوز، وكان أهلها أقرأ أهل الأندلس، لأنّ أبا الجيش مجاهد العامري كان يستجلبهم ويفضل عليهم فكثروا . ينظر : ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت، ط2 (1995م)، 2 / 434 . ودانية باللغة الإسبانية (Denia) وهي بلدية في مقاطعة لقنت جنوب شرق إسبانيا يبلغ عدد سكانها 41591 نسمة . ينظر: موقع <https://www.marefa.org>

⁵ بكسر السين، وباء خفيفة، كورة ومدينة مشهورة بالأندلس. شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار، تعرف بمدينة التراب، وأهلها خير أهل الأندلس، يسمون عرب الأندلس. ينظر : المصدر نفسه، 1 / 490 . وبلنسية بالكاتالانية (valencia) هي عاصمة مقاطعة بلنسية في شرق إسبانيا على البحر المتوسط، ومن أكبر مدن البلاد، يبلغ عدد سكانها حوالي 807396 نسمة. ينظر: موقع <https://www.marefa.org>

⁶ الصلة، 321 .

⁷ ينظر: الصلة، 321 . وسير أعلام النبلاء، ج 19 / 169 . وغيرها من كتب التراجم .

والاستقرار بها، وكانت هذه الأجواء نعمة على أبي داود، وطريقا معيدا للسير في طلب العلم، وحافزا من محفزاته أيضا.¹

وأبرز شيوخه: أبو عمرو الداني²، فقد لزمه أبو داود، واشتهر به، وأكثر عنه، وهو أنبل أصحابه، وأثبتهم، ونجد أيضا الإمام الحافظ ابن عبد البر³، وأبا العباس أحمد بن دلهاث العذري⁴ وغيرهم.

وأبرز تلامذته: أبو العباس أحمد بن محمد المسيلي⁵، وعلي بن هذيل⁶، وابن الباذش⁷، الباذش⁷، وغيرهم.

توفي أبو داود في يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر، ودفن يوم الخميس لصلاة العصر، بمدينة بلنسية، وكانت له جنازة مهيبة، احتفل الناس لها، وتزاحموا على حمل نعشه، كان ذلك في شهر رمضان لست عشرة ليلة خلت منه، سنة ست وتسعين وأربع مائة⁸، وصلى عليه الشيخ إسماعيل بن مهلهل، خطيب جامع بلنسية.⁹

من أشهر مؤلفاته: "التبيين لهجاء مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه"، "مختصر التبيين لهجاء التنزيل"، "أصول الضبط".¹⁰

¹ ينظر: نفس المصادر، والأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط15 (2002م)، 3/137.

² ينظر: شمس الدين الذهبي، معرفة القراء الكبار تخ: د طيار آتي قولاج، استانبول 1416 هـ، ج2، ص773-780.

³ ينظر: سير أعلام النبلاء ج18، ص163/153.

⁴ ينظر: الصلة، ص115/117، وسير أعلام النبلاء، ج18، ص567/568.

⁵ ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تخ: د إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1 (2012م)، ج1، ص595. وشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، ج1، ص115.

⁶ ينظر: التكملة، ج2، ص542.

⁷ ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص547/546.

⁸ ينظر: الصلة، 322.

⁹ ينظر: التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار محمد بن عبد الله البلنسي (659 هـ)، تخ: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة لبنان، (1415هـ/1995م)، 1/153.

¹⁰ المؤلف الأول مفقود، و"المختصر"، و"أصول الضبط" حققهما فضيلة الدكتور "أحمد شرشال"، وطبعا بمجمع الملك فهد بالعربية السعودية.

2.2 التعريف بكتاب أصول الضبط .

اسمه الكامل: "أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار" هذا ما ذكره أبو داود في أول الكتاب¹ ، وقد جعله المؤلف ذيلاً لكتاب "مختصر التبيين" ، دلّ على ذلك قوله في كتاب "الضبط": ((...و ﴿الْمُتَعَالَى﴾ الرد: 9، وشبهه مما قد ذكرنا جميعها في الكتاب الكبير، ورسمناه هنا في هذا المختصر))² ، فقوله "المختصر" يفهم منه أنه كتاب واحد . ويؤكد ذلك قوله : ((...﴿لِيَبْلُغُوا﴾) مجد: 4، وشبه ذلك كله مما قد قيدناه في كتابنا هذا، ورسمناه في كل حرف منه في موضعه))³ ، فقوله: "في كتابنا هذا..." يدل على أنّ كتاب مختصر التبيين، وأصول الضبط كان على عهده مؤلف واحد، ثم فصل عنه بغية التخفيف عن الناسخ .

وقد تضمن الكتاب مسائل النقط في الرسم العثماني، فابتدأ المؤلف كتابه بمقدمة بين فيها النقط، والشكل، والفرق بينهما، وأيهما أسبق⁴ ، ثم ذكر التنوين وأحكام نقطه⁵ ، ثم السكون ومذاهب النقاط فيه⁶ ، ثم كيفية نقط ما لا يشعب من الحركات⁷ ، ثم التشديد وكيفيته⁸ ، فسار على هذا النهج، وكانت خاتمته باب اللام ألف المظفرة⁹ .

ويمثل هذا الكتاب تحفة تراثية نادرة إذ إنه يبين لنا كيفية ضبط الرسم في عصره، وذلك عند الأندلسيين خاصة وعند المغاربة عامة، وقد استفاد المؤلف في الشرح والتبيين حتى إن القارئ للمؤلف كأنه يرجع به الزمن إلى القرن الخامس الهجري فيرى مصحف الأندلسيين وضبطه ورسمه في ذلك العصر . ولو لم يكن من فوائده إلا معرفة جانب من الحياة العلمية لبلاد الأندلس في ذلك العصر لكفى.

¹ ينظر : أصول الضبط، أبو داود سليمان بن نجاح (496هـ) أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار، تح: د. أحمد بن

أحمد بن معمر شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 3 .

² المصدر نفسه، 218 .

³ المصدر نفسه، 224 .

⁴ المصدر نفسه، 3 إلى 10 .

⁵ ينظر : المصدر نفسه، 11 إلى 30 .

⁶ ينظر : المصدر نفسه، 45 إلى 49 .

⁷ ينظر : المصدر نفسه، 31 إلى 49 .

⁸ ينظر : المصدر نفسه، 50 إلى 57 .

⁹ ينظر : المصدر نفسه، 252 إلى 261 .

ولا تكمن أهمية الضبط في نقط رسم المصحف فحسب، بل تتعداه إلى ضبط القراءات، فكان السلف والخلف كثيراً ما يستعينون على ضبط القراءة التي يسمعونها بالنقط، بل استعين به حتى في توجيه القراءات، فما من موجه للقراءات إلا ويبدأ بضبط اللفظة المراد توجيهها قبل كل شيء.

وظل هذا المؤلف مخطوطاً محفوظاً في رفوف المكتبات حتى قام الدكتور أحمد شرشال الجزائري بتحقيقه، ثم قام بطبعه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمملكة العربية السعودية.

3. التعريف بضبط الرسم، وبالتعليل اللغوي :

1.3 تعريف ضبط الرسم:

هو يتكون من لفظين "ضبط"، "رسم"، وسنُعرفُ كلاً منهما على حدة حتى نتوصل إلى بيان المراد منه .

أ- تعريف الرسم

الرسم في اللغة: الأثر، وقيل بقية الأثر، وهو بالسين، والشين لغة فيه، ويطلق على الكتابة كذلك، تقول رسم على كذا، ورشم إذا كتب.¹

ويقال: ترسمت الدار إذا نظرت إلى رسومها، وناقاة رسوم تُؤثِّرُ في الأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الوَطْءِ، وَالنُّوبُ الْمُرْسَمُ: الْمُخَطَّطُ.²

ومن هذه المعاني المختلفة نخلص أن مفهوم الرسم هو بقية الأثر، سواء كان كتابة أو غيرها .

¹ ينظر: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدی (321هـ)، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1 (1987م)، ج2، ص 720. وتهذيب اللغة، محمد بن أحمد (أبو منصور الأزهري 370 هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت- ط1 (2001م)، ج12، ص 293. ولسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم (ابن منظور 711هـ)، تح: اليازجي وجماعة، الاشر: دار صادر، بيروت- ط3 (1414هـ)، 12/ 241 ...

² ينظر: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (395 هـ)، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر 1399هـ/1979م، 2/ 393.

وينقسم الرسم في الاصطلاح إلى قسمين: قياسي، واصطلاحي.

الرسم القياسي:

عرّفه القسطلاني بقوله: ((موافقة الخط اللفظ))¹.

وعرفه الضباع فقال: ((هو تصوير اللفظ بحروف هجائه بتقدير الابتداء به والوقوف عليه))². وتعريف الضباع جعله القسطلاني تعريفاً للخط³.

وموافقة الخط اللفظ، ككتابة لفظ زيد (زي د)، ولفظ أحمد (أ ح م د)، ولفظ محمد (م ح م د) ... وغيرها.

الرسم الاصطلاحي: عرّفه القسطلاني فقال: ((هو مخالفته (أي مخالفة الخط اللفظ) ببدل أو زيادة، أو حذف، أو فصل، أو وصل، للدلالة على ذات الحرف، أو أصله، أو فرعه، أو رفع لبس، أو نحو ذلك من الحكم والمناسبات))⁴.

وعرفه الضباع بقوله: ((هو علم تعرف به مخالفة المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي))⁵. وتعريف "الضباع" أخصر.

وعرّفه الزركشي بالوصف فقال: ((حَطُّ يَتَّبِعُ بِهِ الاقتداء السلفي))⁶.

ويعرف "بالرسم العثماني"، نسبة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي كتبت المصاحف بأمر منه.

ويعرف "برسم المصحف" نسبة إلى المصاحف التي دونت في حضرة عثمان رضي الله عنه، وأرسل بها إلى الأمصار.

¹ أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (923هـ)، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: مركز الدراسات القرآنية مجمع الملك فهد، المملكة العربية السعودية، 5/ 552.

² علي محمد الضباع، سمر الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، المكتبة الأزهرية للتراث، درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر، ط1 (1420هـ/1999م)، 20.

³ ينظر: اللطائف، 2/ 551.

⁴ لطائف الإشارات، 2/ 552.

⁵ سمر الطالبين، 22.

⁶ أبو عبد الله بدر الدين بن محمد الزركشي (794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ودار المعرفة بيروت، ط1 (1326هـ/1957م)، 1/ 376.

ويعرف "برسم الإمام"، نسبة إلى الإمام عثمان رضي الله عنه خليفة المسلمين الذي رسمت المصاحف في زمنه، وبأمره منه، فكان الناس يأتون به في نسخ مصاحفهم، ولا يخرجون عنه .

ب- تعريف الضبط:

لغة: ضَبَّطَ: حَفِظَ الشَّيْءَ بِالْحَزْمِ حَفْظًا بَلِيغًا، وَأَحْكَمَهُ، وَأَتَقَنَهُ. وضبط الكتاب : أصلح خلله، أو صحَّحه وشكَّله ¹.

اصطلاحاً: علامات مخصوصة تلحق الحرف للدلالة على حركة مخصوصة، أو سكون، أو مد، أو تنوين، أو شد، أو نحو ذلك. ² ويرادفه الشكل، يقال: أَشَكَّلْتُ الْكِتَابَ - بِالْأَلْفِ - كَأَنَّكَ أَزَلْتِ بِهِ عَنْهُ الْإِشْكَالَ وَالْإِلْتِبَاسَ. ³

ومنه ضبط الرسم: أي إزالة الإشكال والالتباس عنه بعلامات مخصوصة .

2.3 تعريف التعليل اللغوي: وهو يتكون من كلمتين "تعليل"، "لغوي"، وسنعرّف كلاً من اللفظين على حدة حتى يتبين المعنى المراد منه .

أ- تعريف التعليل .

لغة: جاء في لسان العرب: العَلُّ والعَلْلُ: الشَّرْبُ الثَّانِيَةُ، وَقِيلَ: الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ تِبَاعاً، يُقَالُ: عَلَّلْتُ بَعْدَ نَهْلٍ . وَعَلَّه يَعْلُهُ وَيَعْلُهُ إِذَا سَقَاهُ السَّقْيَةَ الثَّانِيَةَ. ⁴

والتَّعْلِيلُ: سَقْيٌ بَعْدَ سَقْيٍ، وَجَنِّي الثَّمَرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . وَعَلَّ الضَّارِبُ الْمَضْرُوبَ، إِذَا تَابَعَ عَلَيْهِ الضَّرْبَ. ⁵

وتعلل بالأمر واعتلّ : تشاغل. والعِلَّةُ: الْحَدِيثُ يَشْغَلُ صَاحِبَهُ عَنِّ حَاجَتِهِ، كَأَنَّ تِلْكَ الْعِلَّةَ صَارَتْ شُغْلًا ثَانِيًا مَنَعَهُ عَنِّ شُغْلِهِ الْأَوَّلِ. ⁶

¹ ينظر: جمهرة العرب، 1/ 352، والصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفراءى (393هـ)، تج: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4 (1407هـ/1987م)، 3/ 1139 . والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، وآخرون)، الناشر: دار الدعوة، 1/ 533

² ينظر: سميّر الطالبين، 79 .

³ ينظر: لسان العرب، 11/ 358 .

⁴ ينظر: جمهرة اللغة، 1/ 89، و2/ 1012، ولسان العرب، 11/ 467 .

⁵ ينظر: الصحاح، 5/ 1773 .

⁶ ينظر: لسان العرب، 11/ 469 .

ومما ذُكر نخلص إلى أن معنى التعليل في اللغة العربية يدور حول تكرار فعل الشيء مرة بعد مرة .

ب- اللغوي: نسبة إلى اللغة، وهي من اللّغا أي الصوت، فهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، أو اختلاف كلامهم¹. واللغوي نسبة مضافة إلى اللغة .

ومن خلال التعريفين السابقين للكلمتين، نخلص إلى أن التعليل اللغوي: هو توجيه الرسم القرآني بالدلالة اللغوية نحو أو صرفاً.

4 . علاقة ضبط الرسم بالتعليل اللغوي .

1.4 - تاريخ نشأة الضبط ورواده وأقسامه.

قبل أن نشرع في بيان أثر الضبط على التعليل اللغوي ننبه القارئ أن المصحف الإمام كان خالياً من الشكل والنقط في عهد عثمان، وكان الناس زمانهم يقرؤون المصحف على سليقتهم، ولا يجدون مشقة في ذلك وإن تشابهت الحروف، ثم حدث الضبط بعد ضعف السليقة، ودخول العجمة. قال أبو بكر الزبيدي: ((ولم تزل العرب تنطق على سجيّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها؛ حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا، وأقبلوا إليه أرسلأ، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة والعربية،... فعظم الإشفاق من فُشُو ذلك وغلبته؛ حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلى أن سبّبوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه، وتثقيفها لمن زاغت عنه))². وقد نبه الداني إلى سبب نقط المصاحف بعد أن كانت خالية وعارية من ذلك زمن إرسالها إلى الأمصار، وهو ما شاهدوه من تغير الألسنة وفسادها مع قرههم من زمن الفصاحة³.

¹ ينظر: الصحاح، 6 / 2483 . و المعجم الوسيط، 2 / 831 .

² أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي الإشبيلي (379هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، ص 11 .

³ ينظر: المحكم، ص 18 .

ويبدو من كلام المؤرخين أنه طرأ تغير سريع في نمط الشريحة العربية أثر سلباً على فصاحتها، مما دفع بالعرب الأقحاح للبحث عن وسائل تحفظها من الضياع، وقد عالجوا الأمر على مسلكين، مسلك اللغة، ومسلك الكتابة.

فأما اللغة فجعلوا لها قواعد عرفت بالنحو، حيث تساعد المتكلم على النطق الصحيح دون لحن، وهنا لا يهمنا هذا المسلك لأنه ليس موضوع بحثنا.

وأما الكتابة فقد جعلوا لها علامات للحركات تعين على ضبط القراءة، وهي نوعين علامات متشابهة وهو ما يعرف بالنقط المدور، وعلامات مختلفة في الصورة وهو ما يعرف بالشكل المستطيل.

وأول من قام بمحاولة وضع علامات الحركات هو أبو الأسود الدؤلي (69هـ)¹، وكان له سبق، والفضل في نقط المصحف. وقد اختلفت الروايات في السبب الذي دفعه لذلك إلا أن مضمونها جميعاً يشير إلى ظهور اللحن في قراءة القران، روى أبو بكر الأنباري أن أبا الأسود سمع قارئاً يقرأ ((أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)) التوبة:3. بكسر اللام فأعظمه ذلك، وقال: عزَّ وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم رجع إلى زياد فأجابه إلى إعراب المصحف - وقد كان طلب منه ذلك من قبل فأبى- فجئى بثلاثين رجلاً ولا يزال يختار منهم حتى اختار منهم رجلاً من عبد القيس فقال: خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعته شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين. فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره.²

وينقسم النقط المدور إلى قسمين: الأول: نقط الإعراب الذي يمثل علامات الحركات وينسب إلى أبي الأسود الدؤلي كما سلف. وهو أول نقط ظهر، فقد اصطُح على استعماله وكثيراً من الصحابة حَيٌّ.³ إذ كل الروايات تتفق على أنه ظهر في فترة ولاية زياد بن

¹ اسمه: ظالم بن عمرو، ويقال: الديلي، ولد في أيام النبوة، وحدث عن عمر، وعلي، وأبي بن كعب، وغيرهم، وهو واضح علم العربية. ينظر: سير أعلام النبلاء، ج4، ص86.

² - ينظر: أبوبكر محمد بن القاسم الأنباري(328هـ)، إيضاح الوقف والابتداء، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق(1390هـ/1971م). ج1، ص41.

³ - ينظر: أصول الضبط، ص5.

أبيه على البصرة مابين (53/44هـ)¹. والثاني: نقط الإعجام: نسبة بعضهم إلى نصر بن عاصم(89هـ)²، ويحي بن يعمر(قبل90هـ)³، وبعضهم نسبة للحسن البصري(110هـ)، وعبد الله بن أبي إسحاق(117أو127هـ)، والأول أرجح⁴. واستعمل للتفرقة بين صور الحروف المتشابهة، وكان عصره بعد زمن نقط الإعراب، أي بعد النصف الأول الهجري وقبل نهايته⁵.

أما الشكل المستطيل فقد تأخر عنهما إلى عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي(170هـ)، وكان خاصا بالشعر والكتب المؤلفة، ولم يستعمل في المصاحف إلا أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع، حيث كان ذلك بأرض العراق والتي كانت زمنها ميالة إلى الاستفادة من جهود العلماء⁶.

وقد تدرج الضبط في المصاحف وانتقل من هيئة النقل المدور إلى هيئة الشكل المستطيل إلا أن ذلك لبث قرونا من الزمن، واختلف سرعة وبطئا، على حسب اختلاف البلدان الإسلامية.

وكانت صورة النقط في عصر "الداني" "وأبي داود" بأن يُجعل نقطة مدورة أعلى الحرف في الفتح والنصب، أو وسطه أو أمامه في الضم والرفع، أو تحته في الكسر والخفض⁷.

¹ - ينظر: غانم قدوري الحمد، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ص492.

² - يقال: الليثي، ويقال: الدولي البصري النحوي. قرأ القرآن على أبي الأسود وسمع من مالك بن الحويرث، وأبي بكره الثقفي، قال الداني: روى عنه القراءة عرضا عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وأبو عمرو بن العلاء... ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بنقيماز الذهبي(748هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، ط1، (1417هـ/1997م)، ص39.

³ العدواني أبو سليمان البصري، أخذ القراءة عرضا عن أبي الأسود الدولي وسمع ابن عباس، وابن عمر، وعائشة... قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وحدث عنه قتادة... ينظر: معرفة القراء الكبار، ص38.

⁴ هذا القول رجّحه الدكتور أحمد شرشال. ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله التنسي، الطراز في شرح ضبط الخراز(مقدمة الدراسة)، تج: أحمد بن أحمد شرشال، الناشر: مجمع الملك فهد، الملكة العربية السعودية، ص48.

⁵ ينظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ص545.

⁶ ينظر: المصدر نفسه، ص521.

⁷ ينظر: أصول الضبط، ص9/8. والمحكم في نقط المصاحف، عثمان بن سعيد أبو عمر الداني(444هـ)، تج: د. عزت حسن، حسن، الناشر: دار الفكر -دمشق-، ط2 (1408هـ)، ص42.

والنقط، والشكل المستطيل شيء واحد إلا أن الشكل أيسر على القارئ من النقط، وهذا ما نقله الداني عن ابن مجاهد¹، حيث قال في كتاب النقط: ((...والشكل والنقط شئ واحد غير أن فهم القارئ يسرع إلى الشكل أقرب مما يسرع إلى النقط، لاختلاف صورة الشكل، واتفق صورة النقط إذ كان النقط كله مدورا فيه، الضم والكسر والفتح والهمز والتشديد بعلامات مختلفة، وذلك عامته مجتمع في النقط، غير أنه يحتاج أن يكون الناظر فيه قد عرف أصوله؛ ففي النقط الإعراب وهو الرفع والنصب والخفض، وفيه علامات الممدود والمهموز والتشديد...))²، ومن كلام ابن مجاهد نفهم الفرق بين النقط والشكل، إذ إن النقط كله يأتي على صورة واحدة، وهو على شكل دائرة، بينما الشكل تختلف صورته، فالفتحة ألف مضجعة، والضممة واو صغيرة، والكسرة ياء صغيرة، ولذلك هو أسرع إلى الفهم من النقط المدور. والضبط علم كبير فيه اختلاف بين أهله، ولا يقدر عليه إلا من كان له علم به، ولا ينتفع به من جهل أصوله³.

واستعمل في الضبط ألوانا مخالفة للسواد في رسم الإمام حتى يتميز الضبط، ولا يُظن أنه من خط المصحف⁴، فقد استحسن أبو داود الحمرة للشكل (الحركات، السكون، السكون، التشديد، التخفيف)، والصفرة للهمزات خاصة، وهي الألوان التي استعملها نقاط أهل المدينة⁵، وأما أهل العراق فاستعملوا في نقطهم الحمرة فقط، واشتهرت مصاحفهم بذلك، بينما أهل الكوفة استعملوا الحمرة، والصفرة، والخضرة، واللازورد، وقد أنكره أهل النقط لما فيه من التخليط على القارئ⁶.

¹ هو: أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أبو بكر البغدادي العطشي، كان شيخ عصره، مقرئ، ومحدث، ونحوي، ومصنف كتاب "القراءات السبعة"، كان مولده سنة (245هـ)، وقرأ على خلق كثير، فسمع من سعدان بن نصر، والرمادي، وغيرهم، وتلا على قنبل وأبي الزعراء بن عبدوس وغيرهم، فاق جميع أقرانه مع اتساع في علمه وبراعة في فهمه. تصدر للقراءة فأخذه عنه ذلك خلق كثير، منهم عبد الواحد بن أبي هاشم، وأبو عيسى بكار، والحسن المطوعي، وغيرهم توفي في شعبان سنة (324هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، ج15، ص273/272.

² ينظر: المحكم، ص 23.

³ ينظر: المحكم، ص 24.

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص 19.

⁵ ينظر أصول الضبط، ص 7. والمحكم، ص 19.

⁶ ينظر: المحكم، ص 20.

وظل استعمال النقط المدور إلى عهد أبي عمرو الداني، وتلميذه أبي داود، ثم حل محله الشكل المستطيل الذي اخترعه الخليل بن أحمد، لأنه إلى الفهم أيسر، وتُرك النقط المدور بشكل تدريجي حتى لم يبق له أثر في المصاحف المعاصرة.¹

وبعد أن ذكرنا عرضاً مختصراً في بيان نشأة الضبط ورواده؛ سنحاول أن نبين علاقته بالتعليل اللغوي في المبحث الآتي :

2. 4 - استعارة حرف العين للكشف عن موضع الهمز في الكلمة .

وبما أن الهمز حرف معقد من الناحية الصوتية، فهو أثقل الحروف نطقاً، وأبعدها مخرجاً²، وأخفاها صورة _ ولم يمثل في رسم المصحف إلا في أول الكلمة- فقد استعير له حرف العين، فهو أخف، وأقرب منه مخرجاً .

ومن أجل امتحان حرف الهمز ومعرفة مكانه في اللفظ، يجعل المتكلم حرف العين في الكلمة مكان الهمز فأينما ظهر في اللفظ جعل النقط، قال أبو داود : ((... اعلم أنّ الهمزة يمتحن موضعها من الكلمة بالعين، فحيث ما وجدت العين في لفظك بالكلمة فهو موضعها بلا خلاف بين النحويين والنقاط في ذلك . سواء كانت الهمزة متحركة بالحركات الثلاث، أو منونة أو ساكنة، أو صوّر لها صورة، أو لم يُصوّر، فتقول في : ﴿إِيَّاكَ﴾ الفاتحة³ "عياك"، وفي ﴿أَنْعَمْتَ﴾ الفاتحة⁴ "عنمت" ...))³. ذكر أبو داود في المثال أنّ اللغويين استعملوا طريقة ذكية في اختبار صورة الهمز، وهو استعارة العين للكلمة التي فيها حرف همز، واستعمالها في الكلمة بدل الهمز، فأينما ظهرت العين يوضع نقط الهمزة في كل الأحوال نصبا، ورفعاً، وخفضاً، وذلك أن رسم المصحف كان خالياً من صورة الهمز - كما ذكرت -، فيجعل مكانها نقطة إن كان الضبط نقطا، أو رأس عين مقطوعة إن كان شكلاً⁴. فإن كان في أول الكلمة نحو: ﴿إِيَّاكَ﴾ تلفظ "عِيَاكَ"، وإن كان الهمز في وسط الكلمة مثل:

¹ ينظر: رسم المصحف - دراسة لغوية تاريخية - ص 529/530 .

² قال مكّي: ((الهمز حرف جلد، بعيد المخرج، صعب في اللفظ))، ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد بن أبي طالب بن مختار القيسي، مؤسسة الرسالة، 1/ 46. وينظر أيضاً: المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد الأزدي (المبرد 275هـ)، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، الناشر: عالم الكتب - بيروت، 1/ 155 .

³ أصول الضبط، ص 128 .

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص 129 .

﴿سَأَرْهُقُهُ﴾ المدثر 17 تلفظ "سَعْرُهْقَه"، وإن كان في آخرها مثل: ﴿لَتَنْوَأُ﴾ القصص 76 تلفظ "لتنوع"....، فنلاحظ أن موضع الهمزة هو مكان حرف العين من هذه الكلمات: عِيَاكُ، عَنَعَمَتُ، سَعْرُهْقُهُ، لتنوع¹. وقد اقتصت العين بتمثيل الهمزة عن باقي الحروف، لكونها أكثر حروف المعجم ورودا في المنطق، وتكرارا في اللفظ، ولاجتماعها مع الهمزة في الجهر، والشدة؛ ولأنها تأتي بعد الهمزة في ترتيب حروف الحلق، فكانت أولى بالامتحان للدلالة على استقرار موضع الهمزة.²

وجعلوا مكان صورة الهمزة نقطة بالصفراء، وحركتها نقطة بالحمراء، وأما على ضبط الخليل فجعلوا مكانها رأس عين مقطوعة، وشكلها بالحركات الطويلة مصغرة.³

3.4 - تنازع الهمز المزدوج بين الإثبات على الأصل والقطع، وعلى الابتداء والمعنى.

يرسم الهمز المزدوج في المصحف بألف واحدة كراهة توالي الأمثال - إلا في مواضع قليلة جدا⁴، وقد اختلف علماء العربية أيهما المحذوفة الأولى أم الثانية؟⁵

يرى الكسائي أن المحذوفة من الألفاظ ذات الهمز المزدوج هي التي للاستفهام، إذ إنها زائدة باعتبارها دخيلة على الكلمة، والمرسومة هي القطعية، لأنها أصل لازم في الكلمة، وهو القول الغالب لأصحاب المصاحف.⁶

¹ ينظر: أصول الضبط، ص 128. والمحكم، ص 147.

² ينظر: المحكم، ص 146/147.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص 7.

⁴ مثل قوله تعالى: ((أَوْتَبِّئُكُمْ)) آل عمران: ١٥ فإنها رسمت بألف صورة للهمزة المفتوحة، وواو بعدها صورة للهمزة الثانية المضمومة، ومثل قوله تعالى: ((أَيُنْكِرُ)) الأنعام: ١٩ فإنها رسمت بألف صورة للهمزة المفتوحة، وياء بعدها صورة للهمزة المكسورة. ينظر: مختصر التبيين، 2/332. و 3/473.

⁵ ينظر: ذكر أقوال هذه المسألة في ص 139 إلى 141 من "أصول الضبط".

⁶ ينظر: المحكم، ص 94.

ويرى الفراء، وأحمد بن يحيى ثعلب، وأبو الحسن بن كيسان أن المحذوفة هي همزة القطع والأصل، والثابتة هي التي للاستفهام، وذلك لاعتبارين: أحدهما أنها مبتدأة، والمبتدأة تثبت صورتها نحو: ﴿أَمَرَ﴾ البقرة: 27، و ﴿إِمْرًا﴾ الكهف: 71، و ﴿أُنزِلَ﴾ البقرة: 4، وشبهه بإجماع، لأنها لا تخفف رأسا في كل الأحوال¹، لعدم وجود ما ينوب عنها. والثاني: أنها تحمل معنى الاستخبار، فوجب رسمها ليتأتى المعنى الذي اجتلبت لأجله، وهي نفس العلة في الاستفهامية التي دخلت على ألف الوصل، نحو: ﴿ءَالذَّكَرَيْنِ﴾ الأنعام: 143 وشبهه².

وبناء على هذا التعليل للهمز المزدوج من كلمة واحدة قال أبو داود في نقطها: ((وكيفية النقط على الضرب الأول على مذهب الكسائي المتقدم ذكره أنفا على قراءة ورش، وابن كثير أن تجعل قبل الألف السوداء نقطة بالصفراء، وحركتها عليها نقطة بالحمراء، ثم تجعل على الألف المصورة نقطة بالحمراء فقط، دلالة على أن الهمزة الأولى محققة، قد حذفت صورتها، لثلاث تجتمع ألفتان، والثانية ملينة قد ضعف الصوت بها، ولم يتم (...))³. فنلاحظ أن أبا داود ضبط صورة الهمز على توجيه الكسائي - الذي يقول أن الثابتة هي همزة القطع - هو تصوير الأولى التي للاستفهام بالصفراء إشارة إلى حذفها، والثانية بالسوداء ليبدل على إثباتها في الرسم، وذلك على الأصل والقطع. وصورة نقطها هكذا: ﴿ءَأَقْرُرْتُمْ﴾ آل عمران: 81، ﴿ءَأَنْتَ﴾ الأنبياء: 62.

¹ قال ابن جني وهو يتحدث عن الهمز: ((...ولو أريد تحقيقها البتة، لوجب أن تكتب ألفا على كل حال، يدل على صحة ذلك أنك إذا وقعت موقعا لا يمكن فيه تخفيفها، ولا تكون إلا محققة: لم يجز أن تكون إلا ألفا، مفتوحة كانت أو مضمومة أو مكسورة، وذلك إذا وقعت أولا...)). ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (392هـ)، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان- ط1 (1421هـ/2000م)، 1/ 55.

² ينظر: أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي الفراء (207هـ)، معاني القرآن للفراء، تح: أحمد بن يوسف النجاشي وآخرون، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر - ط1، ج2، ص 342، وإيضاح الوقف والابتداء، محمد بن القاسم بن بشار أبو بكر الأنباري (328هـ)، تح: معي الدين عبد الرحمان رمضان، الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (1390هـ/1981م)، 192/1.

³ أصول الضبط، ص 141.

وأما على تعليل الفراء، وثعلب، وابن كيسان، فيكون النقط لورش، وابن كثير: ((أن تجعل النقطة بالصفراء على الألف المصورة، وحركتها عليها، ثم تجعل ألفا بالحمراء بعدها، وتجعل عليه علامة التلين، وإن شئت أن تجعل النقطة دون الألف)).¹ فنلاحظ أن أبا داود ضبط الرسم على تعليل الفراء، وأصحابه، بأن جعل الهمزة الأولى- وهي التي للاستفهام- نقطة صفراء لدلالة ثبوتها على الابتداء والمعنى، وتصوير الثانية بالحمراء، إشارة إلى حذفها، فعلى الوجه الأول تكون صورتها هكذا: ﴿أَأَقْرَزْتُمْ﴾، ﴿أَأَنْتَ﴾. وعلى الوجه الثاني هكذا: ﴿أَأَقْرَزْتُمْ﴾، ﴿أَأَنْتَ﴾

وأما همزة الاستفهام إذا دخلت على همزة الوصل التي مع لام التعريف، فليس أحد من القراء يحقق همزة الوصل، ولا يفصل بينها وبين الاستفهامية بألف في ذلك، وهذا إجماع من القراء، ومن العرب .

فيكون النقط على مذهب الكسائي: أن تجعل الهمزة نقطة بالصفراء، وحركتها فوقها نقطة بالحمراء، ويجعل على رأس الألف السوداء نقطة بالحمراء، وصورته هكذا: ﴿أَلذَّكَرَيْنِ﴾ الأنعام: 143، ﴿أَللَّهُ خَيْرٌ﴾ النمل: 59.

ويكون النقط على مذهب الفراء، وأصحابه: أن تجعل الهمزة بالصفراء فوق الألف السوداء، وحركتها نقطة بالحمراء عليها، وتجعل نقطة بالحمراء بعد الألف السوداء علامة لتسهيلها . وتكون صورتها هكذا: ﴿أَلذَّكَرَيْنِ﴾، ﴿أَللَّهُ﴾، لأنهم يرون أن الاستفهامية هي الثابتة، وهمزة الوصل محذوفة، وعلى الوجه الثاني: أن يجعل لهمزة الوصل ألف بالحمراء، هكذا: ﴿أَلذَّكَرَيْنِ﴾، ﴿أَللَّهُ﴾.

وذكر بعض النحويين، والقراء في لفظ ﴿أَلذَّكَرَيْنِ﴾ الأنعام 143، وشبهه إن همزة الإبدال في هذا النوع تبدل إبدالا محضا، ولا تجعل بين بين، فتصير على هذا المذهب مدّة مشبعة، فيضبط اللفظ على جعل مكان النقطة الحمراء - التي هي علامة التسهيل- مطّة بالحمراء؛ دلالة على البديل المحض. فيكون الضبط كالاتي:

¹ أصول الضبط، 142.

- النقطة على قول الكسائي: ﴿ءَالَّذَكْرَيْنِ﴾، ﴿ءَاللَّهُ﴾... لأنه يرى أن المحذوفة هي الاستفهامية فجعلت المطة فوق الألف السوداء .
- النقطة على قول الفراء، وأصحابه: ﴿أَالَّذَكْرَيْنِ﴾، ﴿أَاللَّهُ﴾... لأنهم يرون أن الألف الثابتة في مرسوم المصحف هي الاستفهامية، والمحذوفة هي ألف الأصل فجعلت المطة فوق الألف الحمراء .
- والوجه الثاني عنهم - أي للفراء وأصحابه - هكذا: ﴿أَالَّذَكْرَيْنِ﴾، ﴿أَاللَّهُ﴾، وهذا الأخير لا يستجيزه أبو داود؛ لأن المطّ لا بدّ أن يقع على حرف موجود في الخط، واللفظ.¹

4.4 - تنازع الألف واللام في "اللام ألف المظفرة" أيهما الطرف الأول في الرسم.²

اختلف اللغويون في رسم اللام ألف المظفرة أيهما الحرف الأول؟ الألف أم اللام؟ فالأخفش يرى أن الطرف الأول منها هو اللام؛ وهو الذي على اليمين؛ لأن الملفوظ به هو اللام في كل الأحوال .

وذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى أنّ الطرف الأول من الطرفين المظفرين هي الألف، والثاني هو اللام، دليله في ذلك أن "اللام ألف" كانت مرسومة قبل لأمّا اتصلت بها ألف على هذا الشكل " لا " كغيرها من الحروف المتصلة بالألف مثل: "ما"، و"ها"، و"يا"، غير أنه لما اعتدل الطرفان، وانفردت على غيرها من الحروف بذلك استثقلت في الرسم، ومع اشتباه مرسومها بخط الأعاجم لم يتفق وذوق الكتاب فحصل التحسين بالتظفير، فصار الطرف الأول هو الثاني، والثاني هو الأول على هذا الشكل " لا "، وبذلك أصبح لهذين الحرفين إذا اجتمعا (اللام ألف) رسم خاص بهما دون غيرهما من الحروف، وكان "اللام ألف" حرف واحد.³

وسار جمهور أهل النقط واللغويون على مذهب الخليل؛ لقوة حجته، وعدم اضطراب قاعدته،

¹ ينظر: أصول الضبط، ص 151 .

² ينظر: اختلاف النحاة في هذه المسألة في أصول الضبط، ص 252، وما بعدها . والمحكم، ص 197، وما بعدها .

³ ينظر: أصول الضبط، ص 254/253 . والمحكم، ص 197 .

بخلاف الأخفش الذي يرجع إلى قاعدة مخالفه فيما تتفق فيه حركة اللام والهمزة بالكسر، مثل: ﴿لِأَخْوَانِهِمْ﴾ آل عمران 156، ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾ 26 ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ قریش 1

قال الداني منتقدا مذهب الأخفش: ((حَيْثُ يُلْزَمُهُ عَلَى مَا قَالَهُ وَأَصْلُهُ، وَقَطَعَ بِصِحَّتِهِ أَنْ تَجْعَلَ الْكسرة أولًا فِي ذَلِكَ، ثُمَّ تَجْعَلَ الْهمزة بعد، وَإِذَا جَعَلَهُمَا فِي ذَلِكَ كَذَلِكَ تَرَكَ قَوْلَهُ، وَنَبَذَ مَذْهَبَهُ، وَرَجَعَ إِلَى مَذْهَبِ الْخَلِيلِ وَمَنْ تَابَعَهُ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ النُّقْطِ؛ إِذِ الْأَوَّلُ فِي ذَلِكَ هُوَ طَرَفُ اللَّامِ، وَالثَّانِي هُوَ طَرَفُ الْهمزة بِإِجْمَاعٍ))¹.

فيكون نقط الهمزة في اللام ألف على مذهب الخليل، وعامة أهل النقط بأن تجعل نقطة بالحمراء على الطرف الأيسر لتدل على حركة اللام، ويجعل على الطرف الأيمن نقطة بالصفراء لتدل على الهمزة، وفوقها نقطة بالحمراء وهي حركتها، مثل: ﴿لَأَزِينُنَّكُمْ﴾ محمد: 30، ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ المائدة 27، ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ الأعراف 18، وكذلك إذا كسرت اللام، وانفتحت الهمزة مثل: ﴿لِأَهْلِهِ﴾ طه: 10، ﴿لِأَخِيهِ﴾ الأعراف: 142، ﴿لِأَبِيهِ﴾ الأنعام: 74، يجعل نقطة بالحمراء تحت القاعدة يمنة، وتنقط الهمزة من فوق في الطرف الأول.²

وعلى هذا النحو يكون ضبط اللام ألف حيث إن الهمزة ينقط لها دائما على الطرف الأول، واللام على الطرف الثاني، وهو أصح أقوال النحويين واللغويين.

4. 5 - ضبط الرسم على ميزان الصرف .

ومثاله ما ذكره أبو داود في ضبط قوله تعالى: ﴿تَرَاءًا﴾ الشعراء: 61 المرسومة بألف واحدة (ترا) حيث قال: ((... فتحتمل تلك الألف السوداء أن تكون ألف البناء التي هي بناء تَفَاعَلَ، وأن تكون الياء هي اللام من الفعل، لأن الأصل في هذه الكلمة "تَرَاءِي"، ومثل ذلك من السالم: تضارب، وتقاتل ... فلما تحركت الياء التي هي لام الفعل، وانفتح ما قبلها انقلبت ألفا، فصار: ﴿تَرَاءًا﴾ بهمزة بين ألفين، ألف البناء، والألف المنقلبة، وليست الهمزة مما تكون حاجزا بينهما لخفائها وبعد مخرجها، وعدم صورتها، فضعفت بذلك عن أن تكون فاصلة بينهما، فكان الألفين قد اجتمعتا متواليتين، فوجب حذف إحداها اختصارا))³.

¹ المحكم، ص 199.

² ينظر: أصول الضبط، ص 254/ 255.

³ المصدر نفسه، ص 181/ 182.

وضبط أبو داود هذه اللفظة على القواعد الصرفية التي أصّل لها اللغويون وهي كالآتي¹:

● نطق ﴿تَرَاءًا﴾ على أن تكون المرسومة في المصحف الإمام ألف البناء، والمحدوفة الثانية التي هي لام الفعل: أن تجعل الهمزة نقطة بالصفراء بعد الألف المرسومة في الإمام، وتلحق بعدها ألف بالحمراء، فتكون الهمزة بين الألف السوداء، والألف الحمراء، وصورتها هكذا: ﴿تَرَاءًا﴾.

● نطق ﴿تَرَاءًا﴾ على أن تكون المرسومة في المصحف الإمام الثانية المنقلبة، والمحدوفة الأولى التي للبناء: أن تجعل الألف الحمراء بعد الراء، وتلحق بعدها الهمزة بالصفراء، ثم الألف السوداء التي في الإمام، وصورتها هكذا: ﴿تَرَاءًا﴾ أي عكس الصورة الأولى. وإن شاء الناظر لم يرسم الألف، وجعل مكانها مطة، هكذا: ﴿تَرَاءًا﴾، واستحسن أبو داود إلحاق الألف بالحمراء اقتداءً بالسلف.

اختلف علماء الرسم في ضبط هذه الكلمة ﴿تَرَاءًا﴾ بناء على اختلاف علماء اللغة في أيهما المحدوفة، الألف الأولى التي للبناء أم الثانية التي هي لام الفعل، واختار أبو عمرو، وأبو داود، والمهدوي حذف الثانية - أي رسم الثانية بالحمراء -

وذلك لسقوطها في اللفظ؛ لالتقاء الساكنين². أي التقاء الساكن من ﴿تَرَاءًا﴾، بالساكن من ﴿الْجَمْعَانِ﴾ الشعراء 61.

ملاحظة: الكلمة ﴿تَرَاءًا﴾ ترسم على النقطين بنفس الصورة إلا أن الألوان في رسم الألف تختلف في التقديم والتأخير لاختلاف المحدوفة أي التي للبناء أم المنقلبة؟

¹ ينظر: نطق هذه الكلمة في المصدر نفسه، ص 181/ 184.

² ينظر: المحكم، ص 158. ومختصر التبيين لهجاء التنزيل، 4/ 927. وهجاء مصاحف الأمصار، أبو العباس أحمد بن عمار المهدي (440هـ)، تج: أد. حاتم صالح الضامن، الإمارات العربية المتحدة - الشارقة، ص 82.

وأما لفظ ﴿جَاءَنَا﴾ الزخرف: 38، فعلى قراءة من مدّ - وهم الحرميان، وابن عامر، وأبو بكر -¹ يحتمل على قراءتهم أن تكون الألف المحذوفة هي المنقلبة عن عين الفعل في "جاء"؛ لأن أصلها "جياً" على وزن "فَعَلَ"، فلما تحركت الياء، وانفتح ما قبلها انقلبت ألفاً، فلما جاءت ألف التثنية بعدها التقتا معاً، حيث إن الهمزة ليست بفاصل قوي؛ نظراً لخفائها، وبعد مخرجها، ولأنها لا صورة لها في الخط، فلما التقت الألفان كُره توالي الأمثال، فوجب حذف إحدهما، فحذفت التي هي ألف الاثنين؛ لزيادتها، فكأن الثقل والكرهية كانا بسببها، فلذلك حذفت الزائدة، وأثبتت الأصلية، لأن عين الفعل من "جاء" - الذي هو أصل الحرف - قد أعلّ بالقلب فلم يكن ليعل بالحذف، فينعدم أثره في الرسم. ويكون نقطه على هذا الوجه اللغوي: أن تجعل بعد الألف السوداء نقطة بالصفراء للهمزة، وحركتها عليها نقطة بالحمراء، ويرسم بعد الهمزة ألفاً بالحمرة، وتكون صورتها هكذا: ﴿جَاءَنَا﴾²

فإن كانت المحذوفة هي عين الفعل، فيكون النقط: أن يجعل ألفاً بالحمرة بين الجيم

والألف السوداء، وتوقع الهمزة بالصفراء بينهما، ويكون الرسم هكذا: ﴿جَاءَنَا﴾³.

6.4 - تعدد أوجه الضبط لتعدد أوجه التعليل .

وأحياناً تتعدّد أوجه الضبط لتعدّد أقوال النحويين في تعليل اللفظ، ومثاله ما ذكره

أبو داود في كلمة ﴿أُولَئِكَ﴾، وشبهها، حيث قال: ((واعلم أن نقط ما زيدت الواو في رسمه في قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾، و﴿أُولُوا﴾... خمسة أوجه...))⁴

¹ قرأ بألف بعد الهمزة نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر، وأبو جعفر على التثنية. ينظر: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي الشهير بالبناء (1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، تج: أنس مهر، دار الكتب العلمية، لبنان- ط3 (1428هـ/2006م)، ص 496.

² ينظر أصول الضبط، ص 184/186.

³ المصدر نفسه، ص 186.

⁴ المصدر نفسه، ص 230.

فذكر أن الوجه الأول منها¹: أن تجعل الهمزة بالصفرة في الألف في وسطها نفسها خارجة قليلا إلى بياض السطر، وحركتها أمامها في السطر نقطة بالحمرة، وتجعل على الواو دائرة لتدل على أنها زائدة في الرسم، محذوفة في اللفظ، وهذا النقط إنما هو على قول بعض النحويين الذين يرون أن الواو رسمت للفرق بين: ﴿أُولَئِكَ﴾، و"إليك"، وبين: ﴿أُولِي﴾، و"إلى".² وعلى هذا الوجه فإن الواو جاءت للترقية بين لفظين متشابهين رسماً مختلفين معنى حين حُشي اللبس فيهما؛ فزيدت في أحد اللفظين، فهي زائدة لمعنى، والنطق بها معدوم، ولهذا تجعل عليها دائرة لبيان زيادتها، وصورة نقطتها هكذا: ﴿أُولَئِكَ﴾.

والوجه الثاني: أن تكون الواو ليست بزائدة، وإنما هي صورة لحركة الهمزة، من حيث كانت الضمة مأخوذة من الضمة الطويلة، فجعلت صورة لها ليعلم أنها مأخوذة من تلك الصورة.³

وعلى هذا الوجه فإن ضبط الهمز يكون بأن يجعل حركة الهمز في الواو نفسها، فلا يجعل عليها الدائرة. ويكون النقط هكذا: ﴿أُولَئِكَ﴾.

والوجه الثالث: أن تجعل الهمزة بالصفرة أيضا كما في الوجه الأول إلا أنها تعرى من الحركة مع الواو على قول من يرى أن الواو هي الحركة نفسها، وأن العرب كانت تشكل بالحروف. قال أبو عمرو الداني: ((وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَكُنْ أَصْحَابَ شَكْلِ، وَنَقَطَ، فَكَانَتْ تَصَوِّرُ الحركات حروفاً؛ لِأَنَّ الإِعْرَابَ قَدْ يَكُونُ بِهَا كَمَا يَكُونُ بِهِنَّ، فَتَصَوِّرُ الفتحَةَ أَلْفًا، وَالكسرة يَاءَ، وَالضمة واوًا، فتدل هذه الأحرف الثلاثة على ما تدل عليه الحركات الثلاث من الفتح، وَالكسرة، وَالضمة))⁴. وقال الكرمانى في "غرائب التفسير": ((وذلك إن صورة الفتح في الخطوط قبل الخط العربي كانت أَلْفًا، وصورة الضمة كانت واوًا، وصورة الكسرة كانت ياء،

¹ ينظر: ينظر أصول الضبط، ص 230/232.

² قال ابن قتيبة: ((...وانما يزيدون في الكتاب - فرقا بين المتشابهين - حروف المد واللين، وهي الواو والياء والألف، لا يتعدونها إلى غيرها، ويبدلونها من الهمزة، ألا ترى أنهم قد أجمعوا على ذلك في كتاب المصحف...)). ينظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (276هـ)، أدب الكاتب، تج: محمد الدالي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ص 215.

³ ينظر: عثمان ابن سعيد أبو عمرو الداني (444هـ)، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تج: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ص 176.

⁴ المحكم، ص 176/177.

فعلى هذا كتب ﴿وَلَا أَوْضَعُوا﴾ و﴿لَا أَذْبَحَنَّهُ﴾ النمل:21 فجعلوا مكان الفتحة ألفا، وكذلك ﴿أُولَئِكَ﴾، و﴿وَأُولَئِكَ﴾، جعلوا مكان الضمة واوا، وعلى هذا ﴿وَإِنِّي آتِيكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ النحل: 90 جعلوا مكان الكسرة ياء لقرب عهدهم بالخط الأول))¹. وعلى هذا الوجه فإن الواو تكون حركة للهمزة، أي أنها ضمة للهمزة جعلتها العرب بحرف الواو. وبهذا فهي ليست زائدة، ولا يجعل عليها شيء. ونقطها على هذه الصورة: ﴿أُولَئِكَ﴾.

الوجه الرابع: أن تكون تقوية للهمزة؛ لشدة خفائها؛ وثقل مخرجها، وتباعده عن مخارج الحروف، فهي بمثابة نبرة في الصدر.²

الوجه الخامس: أن تكون علامة لإشباع حركتها. قال الداني: ((وَلَيْسَ ذَلِكَ إِشْبَاعَ وَالتَّمْطِيطَ بِالْمُؤَكَّدِ لِلْحُرُوفِ إِذْ لَيْسَ مِنْ مَذْهَبِ أَحَدٍ مِنْ أَيْمَّةِ الْقِرَاءَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ إِتْمَامُ الصَّوْتِ بِالْحَرَكَةِ لَا غَيْرَ))³. أي الفتح لا غير من غير اختلاس.

وتضبط في الوجه الرابع والخامس مثل الأول، فتجعل على الواو دارة علامة على زيادتها في الرسم. أي أن الواو جاءت لغرض تطلبه حرف الهمز من الناحية الصوتية ألا وهو التقوية، والتعطيط.

¹ غرائب التفسير، 455/1.

² ينظر: المقتضب، 155/1.

³ ينظر: المحكم، ص 177.

الخاتمة

بعد الانتهاء من هذا العرض اليسير لمطالب البحث سجل الباحث النتائج الآتية:

1. يعد الرسم العثماني مكتمل الجوانب في عهد عثمان - ﷺ - لهذا لم يكن أي ضبط، أو شكل في عهده .
 2. سلك ضبط المصحف طريقتين، طريق النقط المدور، وطريق الشكل المستطيل، واعتمد أبو داود في مؤلفه على النقط المدور .
 3. غلب في الزمن الأول طريقة النقط المدور في الضبط، ثم بعدها فشا طريقة الشكل المستطيل، وأصبح هو المستعمل .
 4. طريقة الشكل أسهل، وأيسر على الفهم، لاختلاف صورته في الضبط .
 5. باب الهمز هو الأكثر تعقيدا في الضبط مقارنة مع غيره، لحالته الصوتية والكتابية، وقد استعان أبو داود في ضبط الإبدال والتسهيل والمد بتعليلات اللغويين .
 6. تقيّد ضبط المصحف - سواء كان نقطا أو شكلا - بما أصله النحويون من قواعد لغوية .
 7. الأثر اللغوي يبدو واضحا في ضبط الهمز، فكان سبيله النحو والصرف، وهذا ما لوحظ في كتاب "أصول الضبط" .
 8. أسهم التعليل اللغوي إلى حد بعيد في تيسير ضبط الهمز .
وأما الاقتراحات والتوصيات فيمكننا إجمالها فيما يلي:
- 1- فتح مختبر خاص بعلم الضبط والرسم في الجزائر حتى تكون رائدة في هذا العلم الشريف .
 - 2- كتابة مصاحف وضبطها بالنقط حتى لا يندثر هذا العلم، وحتى يطلع الأجيال على تراثهم في علم رسم المصحف، مما يدفع بهم إلى تجديد نشاطهم العلمي .
 - 3- الإكثار من البحوث الجادة في علم الضبط بالنقط، ومحاولة تجديده قدر الإمكان .

قائمة المصادر والمراجع :

- القران الكريم رواية حفص عن عاصم .
- 1- أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (276هـ)، تح: محمد الدالي، الناشر: مؤسسة الرسالة.
 - 2- إيضاح الوقف والابتداء، محمد بن القاسم بن بشار أبو بكر الأنباري (328هـ)، تح: محي الدين عبد الرحمان رمضان، الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (1390هـ/1981م).
 - 3- أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار، أبو داود سليمان بن نجاح (496هـ)، تح: د. أحمد بن أحمد بن معمر شرشال، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية .
 - 4- أبوبكر محمد بن القاسم الأنباري(328هـ)، إيضاح الوقف والابتداء، تح: محي الدين عبد الرحمن رمضان، الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق(1390هـ/1971م).
 - 5- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي الشهير بالبناء (1117هـ)، تح: أنس مهر، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان- ط3(1428هـ/2006م).
 - 6- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط15 (2002م).
 - 7- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين بن محمد الزركشي (794هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ودار المعرفة بيروت، ط1 (1326هـ/1957م).
 - 8- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد (أبو منصور الأزهري 370 هـ)، تح: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط1 (2001م).
 - 9- تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفراءي (393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط4 (1407هـ/1987م).
 - 10- التكملة لكتاب الصلة، لابن الأثير محمد بن عبد الله البيلنسي(659 هـ)، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة لبنان(1415هـ/1995م).
 - 11- جهمرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (321هـ)، تح: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت- ط1 (1987م).
 - 12- رسم المصحف – دراسة لغوية تاريخية - تح: د. غانم قدوري الحمد، ط1 (1402هـ/1982م).
 - 13- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلبي (392هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان- ط1 (1421هـ/2000م).
 - 14- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1 (1405هـ-1984م).
 - 15- سمر الطالبين في رسم وضبط الكتاب الميين، علي محمد الضباع، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر، ط1 (1420هـ/1999م).
 - 16- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، (1410هـ-1989م).
 - 17- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف.

- 18- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد بن أبي طالب بن مختار القيسي، الناشر: مؤسسة الرسالة .
- 19- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم (ابن منظور 711هـ)، تح : اليازجي وجماعة، الناشر : دار صادر – بيروت- ط3 (1414هـ) .
- 20- لطائف الإشارات لفنون القراءات، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (923هـ)، تح : مركز الدراسات القرآنية مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية .
- 21- معاني القرآن للفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي الفراء (207هـ)، تح: أحمد بن يوسف النجاتي وآخرون، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة –مصر- ط1 .
- 22- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي (المبرد 275هـ)، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، الناشر: عالم الكتب –بيروت-
- 23- مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (395هـ)، تح : عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر (1399هـ/1979م) .
- 24- المنقح في رسم مصاحف الأمصار، عثمان ابن سعيد أبو عمرو الداني (444هـ)، تح: محمد الصادق قمحاوي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية –القاهرة-
- 25- المحكم في نقط المصاحف، عثمان بن سعيد أبو عمر الداني(444هـ)، تح: د. عزت حسن، الناشر: دار الفكر – دمشق-، ط2 (1408هـ) .
- 26- مختصر التبيين لهجاء التنزيل، أبو داود سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأموي بالولاء الأندلسي (496هـ)، الناشر: مجمع الملك فهد-المدينة المنورة- (1423هـ/2002م) .
- 27- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر بيروت، ط2، (1995م) .
- 28- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، وآخرون)، الناشر: دار الدعوة .
- 29- هجاء مصاحف الأمصار، أبو العباس أحمد بن عمار المهدي (440هـ)، تح: أد. حاتم صالح الضامن، الإمارات العربية المتحدة –الشارقة-
- 30- موقع <https://www.marefa.org>